أبـو نواس
بين نقاده القدامى والمعاصريـــــن

الدكتور بهجت عبد الغفور
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المقدمـــــة : ـ

لم يكن أبو نواس شاعراً قليل الشأن ، ولاممن لايؤبه به ، بل كان فحلا من فحول الشعراء ذا منزلة عالية وعالية جداً .

وزاد من شأنه أن كان من الطبقة الاولى من المولدين (١) . تلك الطبقة التي أحدثت حركة نقدية واسعة ، دارت رحاها بين المتعصبين للقديم وبين أنصار الجديد ، وظل أوارها ملتهباً حتى القرن الرابع الهجرى .

ولأن أبا نواس من الطبقة الاولى للمولدين ، وممن حاول التجديد في الشعر ، ولأنه اشتهر بمجونه وخمرياته وغزله بالمذكر ، فلابد أن توجه اليه سهام النقد من لدن القدامى والمعاصرين ، وفعلا كان هذا ، فأثيرت حوله الأقاويل واختلفت فيه الآراء ، فمنهم من عابه وقلل من شأنه ، ولم يحفل بشعره ، ومنهم من عده فحلا من فحول الشعراء المجيدين ، وأحله منزلة عليا ودافع عنه ورد على الطاعنين عليه ، فكان بذلك مثار حركة نقدية امتدت حتى عصرنا الحاضر .

والحق أننا لم نجد شاعراً أي شاعر مهما بلغت منزلته الشعرية يخلو من نقد ، لأنه لايمكن أن يكون مجيداً في كل أشعاره ، ولقد قالوا عنه : « كان أبو نواس

---

(١) انظر الخزانة ١ / ١٦٨ .

آدب الناس وأعرفهم بكل شعر ، وكان مطبوعاً لايستقصي ولايحلل شعره ، ولايقوم عليه ، ويقوله على السكر ، فشعره متفاوت ، لذلك وجد فيه ماهو في الثريا جودة وحسناً وقوة ، وماهو في الحضيض ضعفاً وركاكة ، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خليعاً ماجناً وفتى شاطراً » (١) .

أقول : إن أبا نواس لم يسلم من الخطأ ولم يسلم كذلك من النقد ، غير أن تعصب فريق من علماء اللغة والشعر للقديم جعلهم لايحفلون بالشعر الا ماكان جاهليا أو اسلامياً ، لأسباب معروفة لم تكن – بجملتها – قائمة على اسس موضوعية لأنهم لم ينظروا الى الشعر على اساس الجودة والرداءة ، ولم يفضلوا القديم على المحدث لأسباب فنية ، وإنما نظروا الى الشعر القديم وفضلوه على اساس الزمن ، لهذا فهم يستجيدون القديم ويفضلونه على المحدث لمجرد تقدم زمن قائله .

لقد تنبه الشعراء أنفسهم الى هذه العصبية في الحكم ، فطلبوا من أولئك المتزمتين والمتعصبين للقديم أن يحكموا على الشعر لاعلى العصر وأن يدعوا العصبية .

ويروون أن ابن مناذر قال لابي عبيدة « اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ، ولاتقل ذلك جاهلي وهذا اسلامي وذلك قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين ، ودع العصبية » (٢) .

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن المولدين ، فقال : ماكان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو عندهم (٣) .

وعلى أساس من هذه النظرة الى القديم والمحدث نظر فريق من علماء الشعر ونقاده الى شعر أبي نواس ، فنفروا منه ، واعرضوا عنه ، وربما اتهموه بالخطأ ، قالوا : كان اسحاق بن ابراهيم الموصلي يتعصب على أبي نواس ويقول : هو

---

(١) طبقات الشعراء / ١٩٤ – ١٩٥ .
(٢) الأغاني : ١٧ / ١٢ .
(٣) العمدة : ١ / ٩٠ .

يخطيء ، وكان اسحاق في كل أحواله ينصر الأوائل وكان اذا انشد من جيد أبي نواس لايحفل به لما في نفسه فأنشد مرة قول أبي نواس :

وخيمة ناطور برأس منيفـــــــــة تهم يدا من رامها بزليل

فكان على أمره ، فقيل له : والله لو كانت لبعض أعراب هذيل لجعلتها أفضل شيء سمعته قط (١) .

وعن أبي عبد الله التميمي . قال : كنا عند ابن الأعرابي ، فأنشده رجل شعراً لأبي نواس أحسن فيه ، فسكت ، فقال له الرجل : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال : بلى ولكن القديم أحب الي . (٢)

وكان ابن الأعرابي يقول : إنما أشعار هؤلاء المحدثين — مثل أبي نواس وغيره — مثل الريحان يشم يوماً ويذوي ، فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً (٣) .

وعلى هذا الأساس كان يحكم على شعر أبي نواس ويرى أن قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بهـا

أفضل من قول أبي نواس :

ودواني بالتي كانت هي الداء

وكان يعلل رأيه ، ويقول : الأول السابق أجود (٤) .

ونحن اذ نرى فيما ذهبوا اليه غلواً نرى أن تعصبهم للقديم جعلهم ينظرون الى شعر أبي هذه النظرة ويحكموا عليه من خلال تأخره في الزمان ، وهم ليسوا على صواب ، فأبو نواس شاعر على منزلة كبيرة ، وقد شهد له القدامى أنفسهم بهذا . وإن كانت له بعض الأخطاء ، فانما هي أخطاء يسيرة ، ربما كان للمتقدمين

---

(١) الموشح : ٤٠٨ .
(٢) نفسه : ٣٨٤ .
(٣) الموشح / ٢٨٤ .
(٤) نفسه / ٤١٣ .

مثلها أو أكثر منها ، وكان من الممكن أن يجدوا لها ما يسوغها لو أنهم نظروا اليه بعين العدل والانصاف ولم يتعصبوا للقديم .

ومن بعيد أدرك الجاحظ هذا ودعا الى النظر الى شعر هؤلاء المحدثين أمثال بشار وأبي نواس دونما تعصب ، وكان أول من تمرد على تزمت اللغويين ، وأول من تلمس عوامل الجمال الفني في الشعر المولد دون تحرج (١) .

وكان الجاحظ من المدافعين عن أبي نواس ، والمعجبين بشعره ، وربما فضله على بعض المتقدمين ، يقول في قصيدة لأبي نواس : وأبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر أشعر من شعر مهلهل في اطراق الناس في مجلس كليب (٢) .

وهو يرى أن العصبية لأهل البدو هي التي جعلت أبا نواس يتأخر في نظر اولئك المتعصبين والمتزمتين من أهل اللغة فيقول :

وأنت اذا تأملت شعره فضلته الا ان تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر وأن المولدين لايقاربونهم في شيء ، فإن اعترض هذا الباب عليك فانك لاتبصر الحق من الباطل مادمت مغلوباً (٣) .

ولعل من المفيد أن نذكر آراء المحدثين في هذه المسألة ، فالدكتور مندور — مثلا — يرى أن الشعر القديم — الجاهلي والأموي — خير من الشعر العباسي وماتلاه الى يومنا هذا ، لأن نزعة أبي نواس ومدرسته لم تستطع التغلب فتنجوا بالشعر من التقليد . (٤)

ورأي الدكتور مندور هذا لايقنعنا تمام الاقناع ، فالمسألة ليست انتصار المحدثين أو فشلهم في التجديد ، بل هي تقويم وحكم على الشعر من خلال فنيته وما يمتاز به شاعر من شاعر آخر دون النظر الى تقدمه أو تأخره ، ثم

---

(١) الثعالبي ناقداً / ٢٣١ .
(٢) الحيوان ٣ / ١٢٩ .
(٣) الحيوان ٣ / ١٢٩ .
(٤) النقد المنهجي عند العرب / ٢٣٠ .

لانرتضي هذا التعميم من الدكتور مندور ، ومن الخطأ جداً أن نقارن بين عصر وعصر ، ونفضل الشعر الجاهلي كله على الشعر العباسي وماتلاه (١) .

ونرى مثل مايرى استاذنا الدكتور طه حسين أن مثل هذه الأحكام لايمكن أن يطمئن اليها ناقد في نفسها ، ويرى أن القدماء كانوا يؤثرون أبا نواس على معاصريه ، وكانوا في ذلك محقين ، ولكنهم لم يقولوا ولعلهم لم يعلموا لماذا كانوا يؤثون أبا نواس ؟ فمن الحق أن نبحث نحن عن مصدر هذا الايثار لا كما بحث المتقدمون في البيت أو البيتين أو القصيدة ، وانما في الديـــوان كلـه (٢) .

وعلى أساس مما تقدم فإن النقاد سواء القدامى منهم أو المعاصرون . يختلفون في أبي نواس هذا ، وتتضارب آراؤهم وتختلف أحكامهم ومآخذهم ، وتتشعب ، فتشمل لغته ومعانيه وأفكاره ، وجوانب اخرى تتعلق بشعره وسأفصل القول في هذه المآخذ موزعة على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

في الأداء الفنـي :

ظلت أحكام النقاد في القرن الثاني وحتى فترة متأخرة أحكاماً ذوقية تأثرية سريعة وغير معللة أحيانا ، وكانت في الغالب ــ جزئية لم تتعد اللفطة الواحدة ، وما فيها من صواب أو فساد ، من حيث بنيتها وتركيبها اللغوي .

ولم تتجاوز أحكامهم أيضاً البيت الواحد ، ومافيه من اسفاف أو غلو أو سرقة وعيوب اخرى تتعلق بالوزن والقافيـة .

وكان ذلك بتأثير اللغويين والمتعصبين للقديم ؛ لأنهم كانوا ينظرون الى الشعر المحدث من خلال موازنته بالشعر القديم ، وأن اللغة عندهم هي المقياس الأول والأخير في كل مايصدرون .

---

(١) تأريخ النقد الا دبي عند العرب للا ستاذ طه أحمد ابراهيم / ٩٠ .

(٢) حديث الأربعاء ٢ / ٥٧ .

وعلى اساس من هذا القول ، فإن أغلب ماقيل عن أبي نواس كان منصباً على العيوب اللغوية ، ولهذا قالوا : كان أبو نواس يلحن في شعره (١) . أما الجاحظ ، فيقول عنه : مارأيت رجلا أعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة الاستكراه وقال الشعر ، وكان يستشهد بشعره (٢) .

وابن قتيبة لايراه الا على حجة من الشعر المتقدم وعلى علة من علـــل النحو (٣) .

ولاريب ، فأبو نواس عالم باللغة ، صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم ، واللغة العربية الفصيحة ، وهم يروون عنه أنه أقام في البادية سنة يتعلم اللغة ويأخذها عن الأعراب (٤) . ويقولون أيضاً : إنه حفظ القرآن وروى الحديث ، ودرس اللغة على أبي زيد وأبي عبيدة ، وقرأ كتاب سيبويه ، وصحب يونس بـــن حبيب (٥) .

ومن كانت هذه حالة ، فلا شك فيما قاله الجاحظ وابن قتيبة ، غير أن من أراد عيباً وجده ، ولاسيما اذا لم يكن من أهل العدل والانصاف ، ولهذا فانه لم يخل من نقد ، بل كثرت عليه مآخذ اللغويين ، فتتبعوا سقطاته ، ولحنوه في أشياء من شعره ، ومن تلك الأشياء ، قوله :

فاذا نزعت عن الغواية فليكـــن لله ذاك « النزع » لا للناس

قال ابن قتيبة : وفي هذا حرف يؤخذ عليه ، وهو قوله : « ذاك النزع » ، وكان ينبغي أن يقول : النزوع ، يقال : نزعت عن الأمر نزوعاً ، ونزعت الشيء من مكانه نزعاً ، ونازعت الى أهلي نزاعاً (٦) .

---

(١) الشعر والشعراء ٢ ، ٨١٨ .
(٢) نزهة الالباء / ٦٥ .
(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٨١٨ .
(٤) أخبار أبي نواس لابن منظور / ٧ – ١٢ .
(٥) طبقات الشعراء / ٢٠١ .
(٦) الشعر والشعراء ٢ / ٨١٨

ويدافع القزاز عن أبي نواس في كتابه مايجوز للشاعر في الضرورة ويرى أن أبا نواس قد عدل عن المصدر المسموع للفعل « نزع عن » الى مصدر الفعل « نزع الثوب » لأن أبا نواس شبه نزع الشيء بـ « نزع الثوب » وكأن أبا نواس جعل الفعل الأخير هو الأصل (١) .

ولو رجعنا الى لسان العرب لوجدنا عذراً لابي نواس حيث يقول صاحبه : نزع عن الصبي والأمر ينزع نزوعاً : كف وانتهى ، وربما قالوا : نزعاً (٢) .

وعابوا عليه تركه الهمزة ونصبه رمساً في قوله :

فليت ماأنت واط من الثرى لي رمـاً

ويرد ابن قتيبة على الطاعنين ، ويقول : أما تركه الهمز في « واطيء » فحجته فيه أن أكثر العرب تترك الهمز ، وأن قريشاً تتركه وتبدل منه وأما نصبه « رمساً » فعلى التمييز ، والبغداديون يسمونه « التفسير » الأتراه قال : فليت ماأنت واط من الثرى لي » فتم الكلام وصار جواب « ليت » في «لي» ثم بين من أي وجه يكون ذلك ، فقال رمـا » أي خبراً ، كما تقول في الكلام : ليت ثوبك هذا لي ، ثم تقول : إزاراً ، لأن جواب ليت صار في قولك « لي » وصار الازار تمييزاً (٣) .

ومن تلك الأشياء قوله في الخمر :

كميتاً تخطاها الزمان فقد أتـت سنون لها في دنها وسنـون

تراث اناس عن اناس تخرمـوا توارثها بعد البنين بنـون

فرفع نون الجمع وهي منصوبة ، وابن قتيبة يرى أن هذا يجوز في المعتل (٤) .

وقيل لأبي نواس نفسه : أجريت نون الجمع وهي منصوبة ، فقال : إن القوافي تحتمل هذا ، ومثله كثير ، أما سمعت قول سحيم بن وثيل الرياحي :

---

(١) ضرائر الشعر أو مايجوز للشاعر في الضرورة ١٤٠ .
(٢) اللسان « نزع » .
(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٨١٨ .
(٤) الشعر والشعراء ٢ / ٨١٩ .

أخو خمسين مجتمع أشدي وقد جاوزت حد الأربعين (١)

ومن ذلك قوله :

وصيف كأس محدثه ملك تيه مغن وظرف زنديق

فجزم « محدثه » لما تتابعت الحركات وكثرت . ويقول ابن قتيبة : ومثل هذا في الشعر كثير ، كما قال امرؤ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً ولا واغل (٢)

وعابوا عليه قوله :

فما ضرها الا تكون لجرول ولا المزني كعب ولا لزياد

روى المبرد هذا البيت « ولا المزني كعب » ثم قال : لحن في تخفيفه ياء النسب في قوله : المزني في حشو الشعر ، وإنما يجوز هذا ونحوه في القوافي . كما قالت امرأة تفخر بأخوالها :

هوذة خالي ولقيط وعلي (٣)

والذي يشفع لأبي نواس أن رواية البيت

فما ضرها الا تكون لجرول ولا لزهير وابنه وزياد

وليس كما رواه المبرد ، ولهذا قالوا : إن المبرد قد تخبط ولم يوفق للرواية الصحيحة (٤) .

ومن ذلك قوله :

كأن كبرى وصغرى من فواقعها حصباء ور على أرض من الذهب

حيث جاء بكبرى وصغرى نكرتين ، والصواب أن يقول : الكبرى والصغرى

---

(١) الموشح / ٤٣٢

(٢) انظر : الشعر والشعراء ٢ / ٨١٨ والموشح / ٤١٥ والوساطة / ٦١ – ٦٢ ، على ان بيت أبي نواس غير واضح المعنى ، قال المرزباني : فهذا البيت ملحون مرذول ردىء الرصف بعيدة .

(٣) الموشح / ٤١٤ .

(٤) ديوان أبي نواس برواية الصولي / ٤٠٦ وطبعة فاغز ١ / ١٥٦ –

من قبيل مالم تنكره العرب بحال ، ولانطقت به الا معرفاً حيث وقع في الكلام ، وعلى هذا فان أبا نواس خالف المألوف من استعمال هذه الصيغة ، فعد ذلك لحناً منه (١) .

وهناك من دافع عن أبي نواس ، وتأول خطأه هذا ، فقالوا : جعل « من » في البيت زائدة على ماأجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها في الكلام الواجب ، وعلى اساس من هذا التأويل تكون الكلمتان معرفتين بالاضافة ، وهو الاستعمال الصحيح لها (٢) .

ولحّن الأصمعي والمبرد ابا نؤاس بقوله :

اهج نزاراً وأفر جلدتهـــا

وزعم الأصمعي أنه يقال : في الفساد : فريت وفي الاصلاح : أفريت ، وكان يقول : فريت أو داجه (٣) .

وقال صاحب طبقات الشعراء : يقال : وافر جلدتها ، فإنه يقال : في الفساد : أفريت وفي الاصلاح : فريت ، وقال بعضهم في الشر والخير جميعاً : فريت وأفريت ، ومعناه : الشق (٤) .

وعلى اساس من هذا القول ، قالوا : عسف المبرد أبا نواس فلحنه في هذا القول ، وأبو نواس هو المصيب ، والمبرد هو الساهي (٥) .

ومن ذلك قولـــه :

وابن عم لايكاشفنـــا ... قد لبسناه على غمـــره

كمن الشنآن فيه لنـــا ... ككمون النار في حجـــره

---

(١) درة الغواص / ٢٦ – ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، وانظر النقد اللغوى عند العرب للدكتور نعمة العزاوى ١٨٨ – ١٨٩ .

(٣) الموشح / ٤١٨ .

(٤) طبقات الشعراء / ١٩٩ .

(٥) ديوان أبي نواس ، طبعة فاغز ٢ / ٩ . والنقد اللغوى / ١٩٢ .

قال الكسائي : إنما أراد في حجرها فغلط ، وقال المبرد : انما أراد في حجره فرده الى القادح ، وقال قوم : انما رد الحجر الى الكون (١) .

وقال الصولي : الهاء في حجره عائدة على ابن العم لأن الفار مؤنثة فكان حقه أن يقول : في حجرها ، ولكن ذهب الى النور (٢) .

ويدافع القزاز عن أبي نواس ، فيقول : وهذا ظاهره على ماقالوا ، ولكن العرب تتسع فتذكر المؤنث لمعنى تخرجه له يؤول به الى التذكير كما قال امرؤ القيس :

برهرهة رخصة رودة كخرعوبة البانة المنفطر

فذكر الخرعوبة والبانة ؛ لانه يريد الغصن أو نحوه من المذكر على أن بيت أبي نواس له وجه لاضرورة فيه ، هو أن الكمون مذكر مضاف الى النار فترد الهاء عليه ، فكأنه قال : ككمون النار في حجر الكمون ، اي في الحجر الذي تكمن فيه النار (٣) .

وسئل أبو نواس عن هذا ، فقال : رددت التذكير الى النور (٤) . وعلى هذا الاساس فإن أبا نواس لم يخطىء وانما أخطأ بعضهم في التأويل .

ومما وهموا في تأويلة ، فلحنوا فيه أبا نواس ، قولـه :

وما لبكر بن وائل عصم الا بحمقائها وكاذبهـا

قالوا : انه يريد بالكاذب مسيلمة ، وكان من بني حنيفة ، والحمقاء : هبنقة القيسي من بني قيس بن ثعلبة ، وهو رجل منهم كان يضرب به المثل لحمقه . وإنما أراد بأحمقها لأن فعلاء لايكون الا للمؤنث ، فمنعه الوزن فلحن ، وقال بهذا المبرد أيضاً (٥) .

---

(١) أخبار أبي نواس لا بن منظور / ١٦٢ .
(٢) ديوان أبي نواس برواية الصولي / ٤١٨ .
(٣) ضرائر الشعر / ٣١ .
(٤) الموشح / ٤٣١ .
(٥) ديوان أبي نواس (طبعة فاغز) ٢ / ٩ .

وهذا وهم وسوء تأول ، والصواب ماقاله الصولي ، قال يعني دغة من بني قيس بن ثعلبة (١) . وعلى هذا فقد غلط المبرد ، فهو انما أراد بالحمقاء امرأة اسمها دغة العجيلية ، وبها يضرب المثل ، أحمق من دغة (٢) . وعلى هذا فلايوجد لحن في البيت .

وأخذ علي بن المبارك الأحمر على أبي نواس في شعره ، قوله ،

أسرع من قول قطاة قطّا

قال : كان ينبغي أن يقول : « قطا » بالتخفيف (٣) .

وأخذوا عليه قوله :

حتى عقدن باذنه شُنُفا

قالوا : انما هو « شَنَفْ » وهذا لايجوز (٤) .

ويدافع الصولي عن قول أبي نواس هذا ، ويقول : وقد عابوا عليه قوله : شُنُفا في جمع «شَنَف » وهذا جائز من وجهين : أحدهماأنه حكى : شنف وشنُف بمعنى واحد ، مثل : قَفر ،وقُفُرْ ،والثاني : أن يكون جمع شنف مثل : سَقْفٌ وسقف ، ورهن رهن (٥) .

أما صاحب اللسان ، فيقول : الشنف بفتح الشين : القرط ولاتقل : شنف بالضم (٦) .

والحق مع أبي نواس مادامت الكلمة قد حكيت بالضم ، ونظن أنه قد فات ابن منظور ماقاله الصولي .

وعابوا عليه تثنيته (عين أباغ) في قوله :

---

(١) نفسه برواية الصولي / ٥٥١ .
(٢) نفسة بطبعة فاغنز ٢ / ٩ وانظر العقد الفريد باب ماغلط فيه على الشعراء ١ / ٢٣١ .
(٣) الموشح / ٤٢٢ .
(٤) نفسه / ٤٢٠ .
(٥) ديوان أبي نواس برواية الصولي / ٤٧٦ وطبعة فاغز ١ . ١٤٦ .
(٦) اللسان (شنف) .

قالوا : عين أباغ موحدة لامثناه ، وليست بعين ، انما هي واد وراء الأنبار على طريق الفرات (١) .

وابو نواس يعترف بهذا ، ويقول : حرصت على أن تقع لي في الشعر (عين اباغ) فامتنعت علي ، فقلت (عيني أباغ) ليستوي الشعر (٢) .

وعابوا عليه قولـــه :

فلما خشى الايبـا ء من صحب وجلاس

وانما هو الاباء (٣) .

ومن ذلك قولـــه :

ياخير من كان ومن يكـــون الا النبي الطاهر الميمـــون

قالوا : إن حق الكلام النصب (الا النبي الطاهر الميمونا) (٤) وقال المبرد : هذا لحن ؛ لأنه استثنى من موجب ، فكان يجب ان يكون اعرابه النصب (٥) . ونحن مع النحويين ، وقولهم بذلك هو الصواب (٦)

وعابوا عليه قوله يمدح العباس بن عبيدالله .

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفـره

قالوا : انه كلام رديء مستهجن موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به لأنه من حق الرسول (ص) أن يضاف اليه والا يضاف الى أحد ، وقد أخر النبي (ص) وهو المقدم في اللفظ (٧) .

---

(١) الموشح / ٤٢٣ ، ومعجم البلدان ١ / ١٧٥ .

(٢) ديوان أبي نواس برواية الصولي / ٤٣٦ والموشح / ٤٢٣ .

(٣) الوساطة / ٦١ – ٦٢ .

(٤) الموشح / ٤٢٠ وديوان أبي نواس برواية الصولي / ٥٢٥ .

(٥) ديوان أبي نواس (طبعة فاغز) / ٢٦٧ .

(٦) الموشح / ٤٢٠ .

(٧) نفسه / ٤٢٠ وديوان أبي نواس برواية الصولي / ٤٢١ .

ويدافع ابو نواس عن قوله هذا ، بأنه أراد أن رسول الله (ص) من القبيل الذي هو منه كما قال حسان :

بها ليل منهم جعفر وابن أمـــه علي ومنهم أحمد المتخير

فقال « منهم » كما قال : « من نفره » أي من النفر الذين العباس منهم (١) .

وقال الصولي : المعنى من هو من نفر رسول الله (ص) (٢) .

وعابوا عليه تناقضه في بعض أشعاره ، وجمعه بين الايجاب والسلب . ومن ذلك قولـــه :

ولي عهد ماله قريـــــــن ولاله شبه ولاخديـــــــن

استغفر الله بلى هـــــارون ياخير من كان ومن يكون

الا النبي الطاهر الميمـــــون

فصير هارون شبيها بولي العهد ، ثم قال : إنه خير الناس ، ولم يستثن بهارون فكأنه إما خير منه ، وليس خيراً منه لأ نه شبيهه أو شبيهه ، وليس بشبيهه لأنه خير منه ، وهذا جمع بين النفي والاثبات (٣) .

ولا أرى تناقضاً في هذا ، فقد مدح الامين بأنه لاشبيه له ، ثم استثنى هارون لانه خير من كان ومن يكون ، ثم استثنى الرسول (ص) من هذا وذاك .

ومن التناقض قوله يصف الخمر :

كأن بقايا ماعفا من حبابهـــا تفاريق شيب في سواد عـذار

فشبه حباب الكأس بالشيب ، وذلك جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لافي شيء آخر غيره ، ثم قال :

تردت به ثم انفرى عن أديمها تفري ليل من بياض نهار

---

(١) الحيوان ٤ / ٤٥٤ .

(٢) ديوان أبي نواس برواية الصولي ١ ٤٢١ – ٤٢٢ .

(٣) الموشح / ٤١٢ .

قال صاحب الموشح : فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الاول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار ، وليس في هذا التناقض منصرف الى جهة من العذر لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان وكل منهما في غاية البعد عن الآخر ، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض الا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس الى كل واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما ، فيقال : انه عند الأبيض أسود وعند الأسود أبيض وليس فيما قاله ابو نواس حال توجب انصراف ماقاله الى هذه الجهة (١)

وروي عن مسلم بن الوليد أنه قال لأبي نواس : كيف يستوي قولك :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فكيف يكون ارتياح وملل ؟ فقال له أبو نواس : هذا لاعيب فيه ، ولكن مامعنى قولك :

عاصي الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلد

قلت (فراح) ثم قلت (فأقام) فكيف يكون راح وأقام ؟ (٢)

وقال ابن قتيبة : والبيتان صحيحان لاعيب فيهما ، غير أن من طلب عيباً وجده ، أو أراد اعناتاً قدر عليه ، اذا كان متحاملا متحينا غير قاصد للحق والانصاف (٣) .

---

(١) نفسه / ٤١١ .

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٨٠٦ والاغاني ١٩ / ٣٣ والموشح / ٤١٩ .

(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٨٠٧ .

وعابوا عليه قولـــه

يامن يبدلني عشقاً بسلـــوان أم من يصير لي شغلا بانســان
كيما أكون له عبداً أقارضـــه وصلا بوصل وهجرانا بهجـران

قالوا لأبي نواس : ماأنت بعيد إن كنت تقارضه وصلا بوصل وهجرانا بهجران ، هذه حال النظير والمكافيء ، فقال : ما أردت أن حكم العبد أن يخالف سيده فيما أحبه أو كرهه ، فجعلت نفسي بهذه المنزلة (١) .

ومما عيب عليه افراطه ومبالغته في بعض أشعاره ، وهذا عيب مشترك في الشعر عامة ، ولم يسلم منه شاعر ، والنقاد مختلفون ازاءه ، فمنهم من برده ولايقبله ، ولاسيما الافراط الذى يتجاوز حد المعقول ، ومنهم من يعتذر له ويقبله ، وعلى الأخص أهل الاغراب وأصحاب البديع من المحدثين الذين لهجوا به واستحسنوه ، ولهذا قالوا عن أبي نواس : إنه كان يحيل في كثير مما يقول ويتخطى صفه المخلوق الى صفه الخالق عز وجل (٢) .

ومما أحال فيه قولـــه :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ويرى قدامة أن هذا ليس عيباً ، ويعده أجود المذهبين (٣) .

وأخذ عليه من الافراط قوله :

حتى الذي في الرحم لم يك صورة بفؤاده من خوفه خفقـان

جعل لما لم يخلق بعد ولم يصور فؤاداً يخفق (٤)

---

(١) الموشح / ٤١٣ .
(٢) نفسه / ٤٣٧ – ٤٣٨ .
(٣) نقد الشعر / ٨ ومابعدها .
(٤) الشعر والشعراء / ٢ / ٨٠١ .

وقولـــه :

يجل أن تلحق الصفات بـــه فكل خلق لخلقه مثـــل

قالوا : فهذا من الاغراق المستحيل في العقول (١) .

وكذلك قولـــه :

بريء من الأشياء ليس له مثـل

والأمثلةعلى هذا كثيرة (٢) . وقد سبق القول بأن النقاد في هذا يختلفون فمنهم من عد الغلو عيباً في الشعر ، ومنهم من استحسنه ، والذين عابوه انما ربطوا الموضوع بالاخلاق والذين ولم ينظروا الى الناحية الفنية التي يجب أن تكون هي الأساس في الحكم على الشعر .

وعابوا على أبي نواس سرقاته الشعرية وأخذه معاني غيره من الشعراء وقد أفاض القدامى في الحديث عن هذه القضية ، وهي مسألة عامة في الشعر ، ولم يسلم شاعر من المحدثين من هذا العيب ، غير أن ابن طباطبا يدافع عنهم ويعتذر لهم بأن القدماء قد سبقوهم الى كل معنى بديع ولفظ فصيح ، وهو يرى أن الشاعر اذا تناول المعاني التي سبق اليها فأبرزها في أحسن من الكسوه التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه (٣) .

وابو نواس واحد من المحدثين وممن كثر القول في سرقاته حتى الف ابن يموت كتاباً مستقلا في سرقات أبي نواس الشعرية ، وقالوا عنه : إنه سلخ معانيه كلها من معاني الوليد بن يزيد في الخمرة وجعلها في شعره وكررها في عدة مواضع (٤) .

وكان العتابي يضع من قدر أبي نواس لهذا السبب ولو أتي بشعره كلـه لقال سرقة (٥) .

---

(١) الموشح / ٤٣٨ .
(٢) انظر في هذا ، الشعر والشعراء ٢ / ٨٠١ والموشح / ٤٣٨ و ٤١٠ . والعمدة / ٢٢٤ .
(٣) عيار الشعر / ٩ و ٧٦ .
(٤) الأغاني ٧ / ٢٠ .
(٥) مروج الذهب ٣ / ٣٦٦ .

ويروون أن أسحاق الموصلي أنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر ، فاستحسنه وقرظه فذكر عنده أبو نواس ، فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيه الا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سلخة هذه المعاني كلها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الابيات كلها واستخرجها من شعره (١) .

وأبو نواس يعترف بهذا ، حيث أنشده الحسين بن الضحاك يوماً قولـه :

وشاطري اللسان مختلق التكريه شاب المجون بالنسك

الى أن بلغ قولـه :

كأنما نصب كأسه قمـر يكرع في بعض أنجم الفلك

فقال أبو نواس هذا معنى مليح وأنا أحق به ، فقال بعد أيام :

اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

فقال له الحسين : هذه مصالته ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة (٢) .

واجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل ، فأنشد أبو الشيص أبياتا منهـا :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

فقال أبو نواس : أحسنت والله وملحت ، ولتعلمن أني سآخذ منك هذا المعنى فيشتهر ماأقول ولا يشتهر ماقلت ، فأخذه منه وضمنه قوله في الخصيب .

فما جازه جود وماحل دونـه ولكن يصير الجود حيث يصير

فسار هذا لأبي نواس ولم يسر بيت أبي الشيص الا دون ذلك (٣) .

---

(١) الأغاني ٢٠ / ٣٢٩ .

(٢) الأغاني ٧ / ١٥٥ع- ١٥٦ والعمدة ٢ / ١٨١ .

(٣) طبقات الشعراء / ٧٤ ، والأغاني ١٦ / ٤٠٢ - ٤٠٣ .

وعن الحسين بن الضحاك أنه قال : لقيني أبو نواس ذات يوم فأنشدته :

أخوي حي على الصبوح صباحا هبا ولاتعدا الصباح رواحا

قال : فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع ، فأنشدني يقول :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقلت له : حسن ياابن الزانية : أفعلتها ؟ قال : دع هذا عنك فوالله لاقلت في الخمر شيئاً أبداً ، وأنا حي الا نسب لي (١) .

على أننا نظل مع ابن طباطبا ولانرى عيباً في أخذ الشاعر معاني غيره ، ولاسيما اذا مازاد عليه وأتى بما يفضلها ، وإن كان ابو نواس قد أخذ معاني غيره ، فانه زاد عليها زيادة حسنة واشتهر ماقاله وغطى على ماقالوه .

وعلى هذا الاساس فقد قالوا عنه : إنه كان يأخذ المعنى ويخفيه ويستره غاية الستر .

ومن ذلك قولـــه :

اعطتك ريحانها العقـــار وحان من ليلك انسفار

قالوا : إن كان قد أخذه من قول الأعشى على ما حكوا ، فقد أخفاه غاية الاخفاء ، وقول الاعشى :

وسبيئة مما تعتق بابـــل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وهم يروون أن الأعشى قد سئل عن « سلبتها جريالها » فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء ، فبقى حسن لونها في بدني . ومعنى اعطتك ريحانها العقار : أني شربتها فانتقل طيبها اليك . فتأمل الفرق بين المعنيين (٢) .

وكذلك قولـــه :

لاينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهـار

---

(١) الأغاني ٧ / ١٦٢

(٢) الصناعتين / ٢٠٤ .

أخذه من قول قيس بن الخطيم :

قضى الله حين صورها الـ خالق الا يكنها السدف

وهذا المعنى منقول من الغزل الى صفة الخمر ، فهو خفي . (١)

ومن المعاني التي اخذها فزاد عليها زيادة حسنة ، قوله (٢) .

يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

أخذه من قول الأسود بن يعفر

يسعى بها ذو تومتين كأنما قنأت أناملة من الفرصاد

وكذلك قوله :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

أخذه من قول مسلم :

تجري محبتها في قلب عاشقها مجرى المعافاة في اعضاء منتكس

ومما أخذه فجاء به أحسن وصفاً ، وزاد في المعنى زيادة بينة قوله (٣) :

وماخبزه الا كليب بن وائل ليالي يحمى عزه منبت البقل

واذا هو لايستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع بجد ولاهزل

أخذه من قول مهلهل :

أودى الخيار من المعاشر كلهم واستب بعدك يا كليب المجلس

وفي الوقت نفسه عابوا عليه بعض المعاني التي أخذها فقصر فيها ولم يزد عليها ، ومنها قوله :

وجدنا الفضل أبعد من رقاش من ابن الأتن من ولد الفيول

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه / ٢٠٧ .

(٣) نفسه / ٢٠٩ .

قالوا : قول رديء ضعيف ، مسروق رديء السرقة ، لأنه أراد قول يزيد ابن المفرغ يخاطب معاوية من البيت الثالث (١)

الأ أبلغ معاوية بن حـــــرب مغلغلة من الرجل اليمانـــــي
أتغضب أن يقال : أبوك عـف وترضى أن يقال : ابوك زان
فأشهد أن رحمك من زيـــاد كرحم الفيل من ولد الأتـــان

وعابوا عليه قولـــه (٢) :

دع عنك لومي فإن اللوم اغـراء وداوني بالتي كانت هي الـداء

أخذه من قول الاعشى

وكأس شربت على لـــذة واخرى تداويت منها بهـا

ونسمع للدكتور طه حسين يعلق على هذين البيتين ، فيقول : فليس من شك أن أبا نواس قد ذكر هذا البيت حين قال شطره السابق ، ولكن أبا نواس لم يأخذ اللفظ ، بل لم يأخذ المعنى دون أن يصلح ويغير ويضيف ، فأن قوله : « دع عنك لومي فإن اللوم اغراء » ليس في شعر الأعشى ، وهو يكفي لأن يحتفظ لأبي نواس بالبيت له ، وقوله : « وداوني بالتي كانت هي الداء » يذكر بقول الأعشى ، ولكن ليس إياه لأن الأعشى لم يرد أن يقول الا أنه كان يشرب ويتداوى كأساً اخرى ، فمعناه ضيق محدود في حين قد مد أبو نواس هذا المعنى وبسط أطرافه فأصبح لاحد له ، أصبح يرافق الحياة ، أصبحت الخمرة داء ملازماً لمن يشربها ، وأصبحت هي لهذا الداء ، فهو يتداوى طول حياته من الخمر بالخمر ، أما الأعشى فكان يتداوى من كأس بكأس ، كان لايذكر الداء والدواء الأ اذا شرب بينما ابو نواس لاينفك يذكرهما لأنه لاينفك في داء ودواء (٣) .

---

(١) الموشح / ٤٢١ .

(٢) ديوان أبي نواس برواية الصولي / ١٤٤ والموشح / ٥١٨ - ٥١٩ .

(٣) حديث الأربعاء ٢ / ٧٢ .

وبعد فأني أقول : إن الحديث عن سرقاته الشعرية ليطول ، ولا يمكن الاحاطة به في هذه العجالة ، وحسبنا أنه فاق الشعراء في معان كثيرة ، فيما أخذه ومالم يأخذه ، ولاسيما في الخمر والطرد فإنه فاق الشعراء كل الشعراء فيهما (١) .

أما أوزانه وقوافيه ، فلم أجد من النقاد من عابه عليها ، غير صاحب الوساطة فقد ذكر أنه أخطأ في الوزن في قولـــه :

رأيت كل مـــن كـــا ... ن أحمقاً معتوهـــا

في ذا الزمـــــــان ... صار المقدم الوجيهـــا

يارب نذل وضيـــــع ... نوهته تنويهـــــا

هجوتـــه لكليمـــــا ... أزيده تشويهـــــا

قال : فبعضه « مستفعلن مفعول وفعول ، وبعضه مستفعلن فاعلاتـن (٢)

وقد تبين لي من خلال تحقيقي لديوانه أنه عالم بالأوزان عارف بها ، قلما يخرج عن القواعد المعروفة ، وأنه يكثر من الاوزان الخفيفة الملائمة للطرب والغزل .

أما قوافيه ، فأكثرها سهلة لا تعقيد فيها ولاغموض ، وهي منسجمة مع الأبيات وغير نافرة عنهـا .

المبحث الثانـي

في الصور الشعريـــة :

يمتاز شعر أبي نواس بصوره الجملية الرائعة ، وتشبيهاته البديعة وديوانه يزخر بتلك الصور الفنية التي يأخذ بعضها برقاب بعض في صياغة غاية في الجودة والجمـال .

---

(١) ديوانه برواية الصولي / ١٢٣٧ و ٢٦٨ .

(٢) الوساطة / ٦٢ .

لقد كان آدب الناس وأعرفهم بكل شعر ، وكان مطبوعاً لايستقصي ولا يحلل شعره ، ولايقوم عليه ، وكان يسحر الناس لظرفه وحلاوته وكثرة ملحه (١) .

ويحدثنا أبو نواس نفسه عن طريقة نظمه للشعر ، فيقول : لاأكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسي طيبة وأكون في بستان مونق على حال أرتضيها من صلة أو وصل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت على غير هذه الحالة أشعاراً لا أرضاها (٢) .

وهذا — ابقاك الله — هو سر جمال شعره وروعته ، فهو لايقول الشعر الا اذا كانت نفسه طيبة وفي جو يبعث على القول ويفتح أمامه آفاقاً واسعة مما يؤهله لأن يلتقط أجمل الصور وأروعها وهذا ما يفسر لنا قول ابراهيم النظام : كأنما كشف لأبي نواس عن معاني فاختار أحسنها (٣) .

وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للاوائل ، فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني (٤) .

ومن هنا أمكننا القول بأن شعره يمتاز برقة العبارة وجودة المعنى وجمال الصورة وروعة التشبيه .

لقد أتى أبو نواس — وليس في هذا شك — بمعان جديدة ولطيفة ، وهو رائد المحدثين في صوره وتشبيهاته التي استمدها من واقعه وبيئته ، فلم يرض بالتقليد والأخذ ممن سبقه ، بل حاول أن يصور الحياة الجديدة بكل مافيها .

ولا أريد هنا أن أفيض في دراسة الصورة الشعرية عند أبي نواس ، فليس القصد من هذا البحث دراسة هذه الناحية ، وانما مناقشة آراء النقاد القدامى والمعاصرين في الصورة الفنية في شعره .

---

(١) طبقات الشعراء / ١٩٤ .

(٢) أخبار أبي نواس / ٥٤ ومابعدها .

(٣) المحاسن والمساوىء ٢ / ١٦٧ .

(٤) نفسه / .

ومع مالهذه الناحية من أهمية كبيرة في شعر أبي نواس ، الا أننا نجد الباحثين والدارسين المعاصرين ، ولاسيما الذين درسوا شعر أبي نواس ، قد عزفوا عنها واعرضوا ، ولم يتوقفوا عندها ، على أنها تستحق التوقف والدراسة بشكل مستفيض ومستقل .

إن الدراسات الحديثة التي تناولت شعر أبي نواس بالدراسة والتحقيق لم تعن بهذا الجانب من شعره ، وانما مالت الى دراسته من الوجهة النفسية والأخلاقية ، كدراسة العقاد والنويهي ، وكانت دراسة الدكتور علي شلق سريعة وغير مركزه ، وقد مست الصورة الشعرية مساً خفيفاً لم يغن ولم يسمن من جوع .

ولعل أحاديث الدكتور طه حسين افضل ماكتب في هذا الجانب غير أن أحاديثه تلك لاترقى الى صفه البحث العلمي المستقصي .

أما القدامى فشأنهم في هذا الباب شأنهم في غيره من الأبواب التي تعرضوا اليها بالنقد ، فقد عابوا على أبي نواس بعض الصور واستحسنوا اخرى دون تحليل أو بيان لمواطن الجمال والقبح وماوراء ذلك من أسباب .

ومما أخذ عليه قوله في صفة الأسد :

كأنما عينه اذا نظـــرت بارزة الجفن عين مخنوق

فوصفت عين الأسد بالجحوظ ، وهي توصف بالغؤور (١) .

وأخذوا عليه قوله في الناقـة :

كأنما رجلها قفا يدهـــــا رجل وليد يلهو بدبوق

واذا كانت كذلك كان لها عقال وهو من أسوأ العيوب (٢)

وكذلك قوله في وصف الدار :

كأنها اذا خرست جـــارم بين ذوي تفنيده مطرق

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٨٠١ والصناعتين / ١٢٤ .

(٢) نفسه وانظر الموشح / ١٤٥ .

شبه مالاينطق أبداً في السكوت بما قد ينطق في حال ، وانما كان يجب أن يشبه الجارم اذا عذلوه فسكت وأطرق وانقطعت حجته بالدار ، وانما هذا مثل قائل قال : مات القوم كأنهم نيام ، والصواب أن يقول : نام القوم حتى كأنهم موتى (١) .

وقالوا : غلط أبو نواس في وصف الكلب حيث يقول :

كأنما الأظفور من قنابـــه موس صناع رد في نصابـــه

لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذي ينستر اذا أرادا حتى لايتبينا ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفترسان والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض (٢) .

ومما يستخف من شعره ، قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا أقلل وأكثر فأنت مهذار

سخنت من شده البرودة حتى صرت عندي كأنك النار

ونحن نرى أن سبب استخفافهم بقوله هذا ، لأنه أدخل المعاني الفلسفية في شعره ، وابن قتيبة يقول : وهذا الشعر يدل على نظرة في علم الطبائع لأن الهند تزعم أن الشيء اذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً .

ومن المعاني الباردة قوله في صفة البازي (٤) .

في هامة علياء تهدي ميســـرا كعطفة الجيم بكف أعســـرا

يقول من فيها بعقل فكـــــرا لوزادها عينا الى فـــاء ورا

فاتصلت بالجيم صارت جعفـــــرا

---

(١) الموشح / ٤٢٢ .

(٢) نفسه

(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٨٠٢ .

(٤) الصناعتين / ١٢٣ – ١٢٤ .

ومما يجدر الاشاره اليه أن ابن قتيبة جعل هذه الأبيات مما يستحسن له في التشبيه (١) وأبو هلال العسكري يرى أن أبا نواس أراد أن يشبه الجميم لايغادر من شبهها شيئاً حتى لوزدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرا لشدة شبهها به ، وهوعنده صواب لو أنه اكتفى بقوله« كعطفه الجيم بكف اعسرا»ولم يزد التي بعدها كان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء ، وأشبه الشعر القديم (٢) . وأنا اتفق مع أبي هلال العسكري فيما ذهب اليه .

ومما عابوه قوله (٣) :

ذخرت لأدم قبل خلقتـــــه

وهذا من الغلو الذي يتجاوز حد المعقول وليس بشيء

وعابوا عليه بعض المعاني التي يتطير منها ويستشنع سماعها في المـــدح كقولـــه (٤) .

سلام على الدنيا اذا مافقدتـم بني برمك من رائحين وغادي

ومن معانيه التي ليست بسيء ، قولـه (٥) .

ورث الخلافة خمسـة وبخير سادسهم سدس

ويروى أن العتابي قال : لو كشف أبو نواس استه بين الناس كان أحسن من قولـــه (٦) .

وجه جنان أسراي بستـان جمع فيه كل ألـوان

كذلك قولـــه :

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٨٢٠ .

(٢) الصناعتين / ١٢٣ – ١٢٤ذ.

(٣) الموشح / ٤٢٠ .

(٤) الصناعتين / ١٥٢ .

(٥) الموشح / ٤١٧ .

(٦) نفسه / ٤١٩ .

لاتخدعن عن التي جعلـــت سقم الصحيح وصحة السقـم

قالوا : فهذا أوهى كلام وأردؤه (١) .

وهناك معاني كثيرة عابوا فيها أبو نواس لأنه كفر فيها أو قارب الكفر لأنه تجاوز فيها حدود الأخلاق وأفرط فيها بالمجون (٢) .

وكان ينبغي ألا ينظروا الى شعره بهذا المنظار لأن الشعر بمعزل عن الدين وبمعزل عن الأخلاق كذلك . وانما ينظر الى الشعر من خلال قيمة الفنية ، وقديماً قالوا : فلو كانت الديانة عاراً على الشعر وسوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ولكان اولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول الرسول (ص) وعاب من أصحابه بكماً خرساً وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر (٣) .

على أنهم استحسنوا له بعض المعاني التي سبق اليها ولم يأت بها غيره . كقولـــه (٤) :

وخدين لذات معلل صاحـب يقتات منه فكاهة ومزاحـا

قال : ابغني المصباح قلت له اتئـــد

حسبي وحسبك ضوؤها مصباحـــا

فسكبت منهـا في الزجاجة شربـــه

ظلت لنا حتى الصباح صباحـــا

واستحسن له الجاحظ أبياته التي يقول فيهـا :

---

(١) نفسه / ٤١٨ .

(٢) انظر الحيوان ٤ / ٤٥٦ والشعر والشعراء ٢ / ٨٠٧ والموشح / ٤١٦ و ٤٠٢ والوساطة ٠٦٢ و أخبار أبي نواس / ٢٢٨ .

(٣) الوساطة / ٦٤ .

(٤) الشعر والشعراء ٢ / ٨٠٨ - ٨١١ .

أية نار قدح القـــــادح واي جد بلغ المـــازح
لله در الشيب من واعـــظ وناصح لو قبل الناصح
يأبى الفتى الا اتباع الهـــوى ومنهج الحق له واضح
فاغد فما في الدين اغلوطـــة ورح لما أنت له رائـح
واسم يعينك الى نـــسوة مهورهن العمل الصالح
لايجتلي الحوراء في خدرها الا امرؤميز انه راجـح
من اتق الله فـذاك الـــذي سيق اليه المتجر الرابـح

قال الجاحظ : لاأعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس : أية نار قدح القادح (١) .

والأمثلة على هذا كثيرة أيضاً (٢) .

وصفوة القول في صور أبي نواس الشعرية ، أنها صور منتزعة من الواقع عبر عنها بصدق واخلاص ، وصبغها بريشته البارعة ، فعادت كأنها مسرحيات تتميز بالموضوع ولكنها تتساوى في صبغة واحدة ، هي صبغة التمثيل ، فكان بحق فنانا من أمهر الفنانين وشاعراً من أشعر الشعراء (٣) .

---

(١) أخبار أبي نواس / ٢٢٨ .
(٢) انظر : الشعر والشعراء ٢ / ٨٠٨ ومابعدها وانظر الصناعتين / ٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٣) أنظر : الحسن بن هاني ء – للعقاد / ١٢٢ .

المبحث الثالث

في بنية القصيدة :

ظلت القصيدة بنت الصحراء ، وظل الشاعر العربي رهين باديته ، يستمد منها أوصافه وتشبيهاته ومعانيه ، يتغنى برمالها ويهيم بشعابها ويندب طلولها ويبكى الديار كما بكي ابن خذام (١) .

أما البيئات الحضرية فانها تطلبت شعراً يلائم الحياة الجديدة ، لهذا فقد وجد الشعراء المحدثون أن تلك الأوصاف لم تعد ملائمة ، يقول ابن رشيق : إن المحدث غير محتاج الى أوصاف الابل والقفار وحمر الوحش كالأعراب والاعد متكلفاً مقلداً للقدماء (٢) .

ويروون أن الأمين جلس يوماً للعامة فدخل عليه القواد والأولياء والأشراف فنشروا والشعراء فمدحوا ووصفوا حتى قام آخرهم أبو نواس فقال : ياأمير المؤمنين إن شعراء الملوك قبلي شببوا بالمد ر والحجر والشاء والبقر والصوف والوبر فغلظت طباعهم واستغلقت . معانيهم ولابصر لهم بامتداح خلفائنا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الانشاد فعل . فقال : قل آذنا لك ، فأنشده (٣) .

الا دارها بالماء حتى تلينهـــا ولن تكرم الصهباء حتى تهينهـا

ويعني هذا أن أبا نواس أحس بضرورة التجديد ، وكان احساسه صادقاً ، فدعا الى أن يكون الأدب صورة للحياة الجديدة ، ولهذا فقد عاب على شعراء زمانه وقوفهم بالأطلال وبكاءهم الديار ووصفهم الناقة ، وما الى ذلك من موضوعات لم تعد من مظاهر الحياة الجديدة التي شهدها العصر العباسي ،

---

(١) الثعالبي ناقداً / ٤٣٩ .

(٢) العمدة ٢ / ٢١٧ .

(٣) ديوان أبي نواس (طبعة فاغنر) ١ / ١٣٠ .

فقـال :

صفة الطول بلاغة القـــدم فاجعل صفاتك لابنة الكـرم
لاتخدعن عن التي جعلـت سقم الصحيح و صحة السقـم
فعلام تذهل عن مشعشعـة وتهيم في طال وفي رسـم

غير أن دعوته تلك لم تلق قبولا من لدن معاصريه ، بل عارضوه ولاموه عليها وعدوا ذلك خروجاً منه ومروقاً على التقاليد ، وكان يلمح الى هذا في شعره ويقـول :

أعر شعرك الأطلال والدمن القفرا فقد طال ماأزرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطول مسلـط تضيق ذراعي أن أجوز له أمرا
فسمع أمير المؤمنين وطاعـة وإن كنت قد جشمتني مركبا وعرا

لقد كان وصفه للطلول استجابة للخليفة الذي لايجوز له أمراً ، ومع هذا فانه مركب وعر جشمه الخليفة اياه .

وطالما شرد على الخليفة وعصاه وعاد الى ذكر الخمر وصفاتها وترك ذكر الطول ونؤيها ، وهو القائل :

دع الاطلال تسفيها الجنـوب وتبلي عهد جدتها الخطـوب
وخل لراكب الوجناء أرضـاً تخب بها النجيبة والنجيـب
دع الألبان يشربها رجـال رقيق العيش بينهم غريـب
فأطيب منه صافية شمـول يطوف بكأسها ساق أديـب

وهو القائل أيضاً :

غننا بالطلول كيف بلينـا واسقنا نُعطك الثناء التمينـا

الى أن يقول :

ذاك عيش لو دام لي غير أنـي عفته مكرها وخفت الأمينـا
ادر الكأس حان أن تسقينـا وانقرا لعود انه يلهينـا
ودع الذكر للطلول اذا مـا دارت الكأس يسرة ويمينـا

انها دعوة جريئة وصادقة ، لم يبغ من ورائها التهجم على الأطلال ولم تكن شعوبية ، وانما هي محاولة استبدال صور قديمة باخرى جديدة مستمدة من واقعه الذي يعيشه .

تصف الطلول على السماع بهـــا أفذو العيان كانت في العلـــم
فاذا وصفت الشيء متبعـــــــا لم تخل من زلل ومن وهـــم

أما الاستاذ العقاد فهو يرى أن أبا نواس لم يفعل هذا ولعاً بالتجديد ونفوراً من القديم ، فما كان ينعى على الشعر بكاءالطلول الا لينعى من وراء ذلك معيشة البادية على أهلها أجمعين ، وهو يرى أن السبب في هذا هو حب المعارضة وهي مسألة عرض واظهار ، ولولم تكن مسألة عرض واظهار عند أبي نواس لما عناه هنا رأي الأقدمين ولارأي المحدثين ، فقد كان ينحو في الطرد والغزل والمدح والهجاء منحى الشعر القديم ويلهج بمحاكاته على نمط لم يؤثر على أحد من نظرائه ومعاصريه (١) .

ونخالف العقاد فنقول : اذا كانت دعوته مجرد مخالفة وحب الظهور ، فان كل تجديد هو مخالفة بحد ذاته ، وأن الشعراء بطبيعتهم يميلون الى حب الظهور ولايعني هذا شيئاً ، أما أنه سار على نمط الشعر القديم ، فهذا صحيح حيث انه لم يستطع التخلص من الموروث الثقافي ، ثم الذوق العام الذي ظل مشدوداً الى القديم والمحافظة عليه ، وعدم السماح بالخروج على ماكان عليه الشعر في عصوره الاولى فالزمن والسلطة والمجتمع كل ذلك مازال محافظاً على القديم .

لقد كانت المرحلة ناضجة لظهور الدعوة لكنها لم تكن المرحلة المهيأة بكل أبعادها لقبول التطبيق . لهذا أخفق ابو نواس في دعوته ولم يستطع نقلها الى الواقع ، فظلت تلك الثورة ناراً تضطر في صدره ونجد صداها في ثنايا شعره شكوى والماً .

---

(١) الحسن بن هاني ، / ٣٧ .

ولهذا فقد نجحت دعوته فيما بعد واستطاع الشعراء الذين جاءوابعده التخلص من الديباجة العربية الموروثة كما نلاحظ ذلك عند البحتري والمتنبي وغيرهما .

ويكفي أبا نواس أنه أحسن بضرورة التجديد ودعا اليه بصدق واخلاص ويكفيه أيضا أنه كان أشد الناس تقبلا للمؤثرات الجديدة وأعنفهم تأثراً بها وأقواهم حاجة اليها وانسجاماً معها (١) .

يقول الاستاذ طه أحمد ابراهيم : « ونخرج من هذا على أن أبا نواس ناقد فذ ، ناقد وحيد في تأريخ النقد الأدبي ، قد يبحث في الصلة بين الأدب والحياة ، ويحاول أن يلائم بينهما ، فليست شعوبية أن ينادي بتحضر الشعر وابعاد روح البداوة منه وتجنب التناقض الشنيع في أن تعيش الأبدان في الحواضر المترفة وتسبح الأرواح في الفيافي والقفاز (٢) .

أما الدكتور البصير ، فقد ظلم أبا نواس بقوله : إما أن أبا نواس شاعر مجيد في بعض ضروب الشعر فهذا مالاشك فيه ، ولكنه لم يكن مجدداً في يوم من الأيام لأي نوع من أنواع القريض على أنه لو أراد ذلك لما تهيأ له لأنه لم يكن من خصب القريحة وسعة الخيال وعمق التفكير بحيث يستطيع أن يكون مجدداً لشيء من الأشياء (٣) .

أما مايقال عن أثر العصبية الفارسية في دعوة أبي نواس الى نبذ بعض التقاليد الشعرية العربية الموروثة وما يبنى على ذلك من حكم بتعصبه للفارسية على العربية ، فانه وهم مصدره عدم التنبه الى البواعث الاجتماعية والفكرية لهذه الدعوة (٤) .

ويرى الدكتور محمود غناوي الزهيري أن ثورة أبي نواس لم تكن تتصل بالناحية السياسية من قريب أو بعيد ، انما هي استجابة أو تلبية لنداء الطبيعة (٥) أ

---

(١) نفيسة أبي نواس / ١٧٢ .
(٢) تاريخ النقد الأدبي (طا أبراهيم) ١٠٩ ، (٢) في الأدب العباسي / ١٨٩ - ١٩٠ .
(٣) في الا دب العباسي / ١٨٩ - ١٩٠ .
(٤) الثعالبي ناقداً / ٤٤ .
(٥) الأدب في ظل بني بويه / ٦٣ .

وبعد ، فان من يقرأ شعر أبي نواس يحس بتماسك قصائده وبنائها المحكم وصياغتها القوية ، فلا حشو ولافضول ولاتفكك في اجزاء القصيدة كلها من المطلع حتى الخاتمـــة .

الخلاصة :

بالرغم مما قيل ويقال في شعر أبي نواس من نقد ، فأنه يظل شاعراً من الشعراء البارزين المعدودين في قائمة شعراء العربية الخالدين على مر العصور ، وهو يستمد عظمته تلك من رفدة اللغة العربية بهذا الموروث الشعري الضخم ، الذي يعد ثروة قومية ثرة

وكل الذي قيل فيه لايقلل من منزلته الشعرية وملكاته الفنية وحسبه أن شغل الناس وكان الشرارة الاولى لحركة نقدية واسعة امتدت حتى عصرنـــا الحاضر .

المصادر والمراجـــع

أخبار أبي نواس ابن منظور ، ت محمد عبد الرسول ابراهيم وعباس الشربيني مصر ١٩٢٤ م .

الأدب في ظل بني بويه الدكتور محمود غناوي الزهيري ، مطبعة الأمانة مصر ١٩٤٩ م .

الأغاني ابو فرج الأصفهاني ، دار الكتب ١٩٢٩ م

تاريخ النقد الأدبي عند العرب الاستاذ طه أحمد ابراهيم — دار الحكمة — بيروت د — ت .

حديث الأربعاء الدكتور طه حسين دار المعارف بمصر ط(٩)

الحسن بن هانيء العقاد ، دار الهلال ، بيروت ، د — ت .

الحيوان الجاحظ ، ت عبد السلام هارون ط (١) مصر ١٩٣٨ م .

الخزانة البغدادي ط (١) بولاق — بيروت

درة الغواص ابو محمد القاسم بن علي الحريري ط (١) القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

ديوان أبي نواس برواية الصولي ت : الدكتور بهجت عبد الغفور « رسالة دكتوراه »

ديوان أبي نواس ت ايفالد فاغنر القاهرة ١٩٥٨ م .

الشعر والشعراء ابن قتيبة — ت أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

الصناعتين ابو هلال العسكري ، ت ـ علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٧١ م .

ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة محمد بن جعفر القيرواني ـ ت محمد زغلول سلام ومصطفى هدارة ، ١٩٧٢ م .

طبقات الشعراء ابن المعتز ، ت ـ عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف بمصر (١) .

العقد الفريد ابن عبد ربه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٩ م .

عيار الشعر ابن طباطبا ، ت ـ طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، ١٩٥٦ م .

العمدة ابن رشيق ـ ت ـ محمد محي الدين عبد الحميد ط (٤) ١٩٧٢ م .

في الأدب العباسي الدكتور محمد مهدي البصير ط(٣) . ١٩٧٠ م .

لسان العرب ابن منظور ـ دار صادر

المحاسن والمساوىء ابراهيم بن محمد البيهقي ، ت ـ ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، د ـ ت .

معجم البلدان ياقوت الحمري ـ دار صادر ـ بيروت .

الموشح المرزباني ، ت علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٥ م

نزهة الألباء ابن الأنباري ، ت ـ الدكتور ابراهيم السامرائي ط (٢) ١٩٧٠ م .

نفسية أبي نواس النهويهي ، دار الفكر ، بيروت ط (٢) ١٩٧٠ م .

نقد الشعر قدامة بن جعفر ط (١) مصر ١٩٤٨ م .

النقد اللغوي عند العرب الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، بغداد ١٩٥٨ م .

النقد المنهجي عند العرب الدكتور محمد مندور ، القاهرة ١٩٤٨ م .

أبو نواس بين التخطي والالتزام الدكتور علي شلق ، بيروت ١٩٦٤ م .

الوساطة الجرجاني ، ت ـ محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ط (٢) ١٩٥١ م .